الوثيقة النبوية

والأحكام الشرعية المستفادة منها

رسالة ماجستير

في العلوم الدينية والإسلامية

تأليف

جاسم محمد راشد العيساوي

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة

الإهداء

إلى الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل

إلى مدرسة الإيثار ... إخوتي.

إلى والديّ الكريمين.. تحية حب وإكبار.

أقدم للجميع ثمرة بحثي هذا.

الباحث

الوثيقة النبوية

والأحكام الشرعية المستفادة منها

جميع حقوق الطبع محفوظة
لدار الصحابة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار
الصحابة

مكتبة الصحابة : الإمارات – الشارقة ت: ٥٦٣٣٥٧٥ – فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤
مكتبة التابعين: القاهرة – عين شمس ت: ٤٩٣٨١٤٤ – فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

شكر وتقدير

قال الرسول ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"[1]، فإنه من باب الاعتراف بالفضل لأهله، أجد من الواجب عليَّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسدى إليَّ قبساً من علم أو مدَّ إليَّ يد العون والمساعدة في إعداد هذه الرسالة، وأخص بالذكر منهم أستاذي المفضال الدكتور هاشم جميل عبدالله، الذي كان معي في هذه الرحلة العلمية المباركة من بدايتها إلى نهايتها يكللني برعايته الأبوية، ويغمرني بخبرته العلمية الممزوجة بتواضع العلماء، والذي شملني وشمل بحثي هذا برعايته، وتوجيهه وإرشاده، فإنه قد بذل وسعه وما فوق الوسع وتابع بحثي خطوةً خطوة، وكلمةً كلمة من أوله إلى آخره، فله من الله تعالى حسن الجزاء، ومني خالص الدعاء.

كما أتقدم بالدعاء، وحسن الثناء، لأساتذتي الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة الذين شرفوني بقبول مناقشة هذه الرسالة، شاكراً تقويمهم لأخطائها، وإثراءهم لمضمونها، وترصينهم لمستواها.

أمد الله تعالى في أعمارهم ومنحهم الصحة والعافية، وجعلهم ذخراً للعلم وطالبيه.

كما أدعو الله تعالى بالتوفيق وحسن المثوبة لكل من مدّ لي يد العون خلال مسيرتي من: أساتذة وموظفين وزملاء، فإن لكثير منهم عليَّ أيادي لا تنسى.

(١) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري، وقال: حديث حسن صحيح (٤/٣٩٩)، رقم الحديث (١٩٥٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

■ المقدمة ■

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فإن الإسلام هو الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات، فهو شمس الهداية للناس جميعًا حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ؛ لذلك فالإسلام يخاطب الروح كما يعنى بقضايا المادة، وينظِّم علاقة الإنسان بربه، كما ينظم علاقته بمن حوله من الناس وماحوله من الأشياء، ويكفل تطبيقه السعادة في الدنيا والآخرة .

وإذا كان الإسلام بهذه الصفة فإنه من البديهي إذن: أن يكون متضمنًا لكل ما تحتاج إليه البشرية من أنظمة .

وأبرز ما تحتاج إليه البشرية من تلك الأنظمةو نظام الحكم الذي ترتكز عليه الدولة، وإلا فلن يكون تقدُّم، ولن تكون هناك حضارة. وحجر الزاوية في نظام الحكم هو الدستور .

والمبادئ الدستورية التي حواها التشريع الإسلامي مازالت تنطق بحيوية هذا التشريع وتميزه بالصلاحية لكل زمان ومكان . لكن الغزو الفكري الذي نظّمه أعداء الإسلام حاول وضع غشاوة على أبصار وبصائر الناس ومنهم ثلّة كبيرة من المسلمين، فاختلطت عليهم وجوه الحق، وظنوا أن الخير كل الخير في أنظمة أولئك الغزاة وتشريعاتهم، ولم يعلموا أن خير ما فيها لم يعرفه هؤلاء الغزاة إلا حين اختلطوا بالمسلمين .

والوثيقة النبوية تعد أول سابقة دستورية في الإسلام، وهي تدل بوضوح على أن الإسلام يحوي حضارة راقية المستوى، بدليل أنه منذ فجر إنشائه للدولة قد أنشأها دولةً دستوريةً، يعرف كل رعاياها من أول لحظة ما لهم من حقوق، وما عليهم من التزامات.

وقد ادّعى بعض الغربيين: أن هذه الوثيقة هي في الأصل مجموعة من الوثائق جمعت في وثيقة واحدة، معلِّلين ذلك: بأن الرسول ﷺ، لم يكن بإمكانه كتابة هذه الوثيقة بكل ما فيها من أحكام مرة واحدة .

وقد ردّ بعض الباحثين المعاصرين من المسلمين على هذا الادعاء بإنكار الوثيقة أصلاً، بحجة أن دستور الإسلام الوحيد هو القرآن الكريم .

وردّ باحثون آخرون على ذلك، بأن الوثيقة هي في الأصل وثيقتان جمعتا في وثيقة واحدة. وأنها ليست موضوعة، لكن أسانيدها ليست من القوة، بحيث يمكن عدُّها دليلاً يمكن أن يستنبط منها حكم شرعي . بينما يرى الأئمة المتقدمون: أنها وثيقة واحدة .

ومع كل ما لهذه الوثيقة من أهمية، فإنها لم تحظَ -فيما أعلم- بدراسة واسعة تناسب تلك الأهمية، ومن هنا وقع اختياري عليها؛ لتكون موضوعًا لدراستي هذه، محاولاً تحقيق نسبتها للنبي ﷺ عن طريق جمع أسانيدها وتخريجها تخريجًا مناسبًا متتبعًا في ذلك خطى أهل الحديث ونهجهم، ذلك المنهج الذي انفرد بكونه الميزان الصحيح، الذي يمكن بواسطته إصدار الحكم الدقيق المنصف على الأخبار .

كما أحاول الحديث عن أبرز ما حوته هذه الوثيقة من أحكام .

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يُقَسَّم بعد هذه المقدمة إلى بابين وخاتمة .

الباب الأول: فقد تضمن دراسة تتعلق بالوثيقة وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: يتضمن الحديث عن البيئة التي كُتِبَت فيها الوثيقة النبوية، وفي هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البيئة الجغرافية للمدينة المنورة .

المبحث الثاني: البيئة السكانية للمدينة المنورة حين كتابة الوثيقة النبوية .

المبحث الثالث: أسماء الوثيقة وتاريخ كتابتها .

الفصل الثاني: فكان في أسانيد الوثيقة النبوية ونصها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسانيد الوثيقة في أهم كتب الأثر والسيرة والتاريخ، وقد تكلمت فيها عن خمسة أسانيد وجدتها للوثيقة وقد رتبتها وفق قِدَمِها .

المبحث الثاني: فقد ذكرت فيه أقدم نص للوثيقة مقارنًا بالنصوص الأخرى مع شرح لبعض الألفاظ التي تحتاج إلى توضيح .

الباب الثاني: فقد تكلمت فيه عن أبرز ما حوته الوثيقة من نظم وأحكام، وقد قسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: وتحدثت فيه عن نظام الدولة. وفيه تمهيد بينت بإيجاز فيه أركان الدولة. وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحدثت عن قضايا تتعلق بالركن الأول للدولة وهو الإقليم .

المبحث الثاني: تحدثت عما حوته الوثيقة من أحكام تتعلق بالركن الثاني للدولة -السكان-

المبحث الثالث: تحدثت فيه عن الأحكام التي تتعلق بالركن الثالث للدولة - النظام- .

الفصل الثاني: فقد تحدثت فيه عن القضايا والأحكام التي تتعلق بالمبادئ العامة والحقوق وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تكلمت فيه عن إقامة العدل .

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن مبادئ وقضايا تتعلق بالجنايات والعقوبات .

المبحث الثالث: ذكرت فيه أبرز ما تضمنته الوثيقة من قضايا تتعلق بالتكافل الاجتماعي والتعاون المالي .

المبحث الرابع: فقد تكلمت فيه عن الحقوق والحريات الأساسية التي كفلتها الوثيقة.

وقد بحثت ذلك كله بإيجاز أرجو ألاَّ يكون مخلاً، وقد ابتعدت في ذلك عن الإكثار في التفصيل والمقارنة؛ لأن الغرض من البحث في هذه القضايا الإشارة إلى ما تضمنته الوثيقة من الأحكام، وليس المقصود البحث بعمق عما جاء فيها من أحكام، فإن ذلك تضيق عنه رسائل عديدة، مثل: هذه الرسالة، كما أنه يخرج بهذه الرسالة عن هدفها الذي هو التنويه بأهمية هذه الوثيقة .

الخاتمة : فقد تضمنت الإشارة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها .

وبعد هذا فإني لا أدعي خلو هذا البحث من النقص أو الخطأ، فالكمال لله تعالى فقط، والعصمة لأنبيائه . ولكني قدمت جهدي -وإن كان جهد المقل- وبذلت طاقتي،

فإن وفقت فذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى فإني أطمع من الله تعالى، بالعفو الجميل ومغفرة الزلل؛ لأني لم أقصد سوى الخير وإن أخطأت السبيل إليه .

وفي الختام أسأل المولى الكريم، أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن يثيبني فيه على نيتي، إنه سميع الدعاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباب الأول

دراسة تتعلق بالوثيقة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: بيئة الوثيقة وأسماؤها وتاريخ كتابتها.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البيئة الجغرافية .

المبحث الثاني: البيئة السكانية .

المبحث الثالث: أسماء الوثيقة وتاريخ كتابتها .

الفصل الثاني: أسانيد الوثيقة النبوية ونصها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسانيد الوثيقة في أهم كتب الأثر والسيرة والتاريخ .

المبحث الثاني: أقدم نص كامل للوثيقة، مقارنًا بأهم النصوص الأخرى.

■ الفصل الأول ■
بيئة الوثيقة وأسماؤها وتاريخ كتابتها
● المبحث الأول: البيئة الجغرافية ●

تمهيد:

كُتِبَتْ الوثيقة النبوية في المدينة المنورة، ومما يساعد على حسن فهمها تعرف المكان الذي كتبت فيه. لذا سأحاول التعريف بمدينة رسول الله ﷺ من النقطتين الآتيتين:

١- أشهر أسمائها. ٢- وصف موجز لها.

وسأتكلم على كل منهما في مطلب مستقل، لذلك سيتضمن هذا مطلبين:

المطلب الأول: أشهر أسماء المدينة المنورة.

المطلب الثاني: وصف موجز لها.

المطلب الأول: أشهر أسماء المدينة المنورة

المدينة المنورة من المدن القديمة، التي جاء ذكرها في الكتابات المعينية، وكانت من المواقع التي سكنت فيها جاليات من معين[١] ثم جاء بعدهم السبئيُّون[٢] وذلك بعد أن انقرضت دولة المعينيين. وقد ورد ذكرها باسم «يثرب» في جغرافية بطليموس[٣]، فذكرت مرة باسم (Lathripp)، ومرة باسم (Lathrippa)[٤].

---

(١) دولة المعينيين: دولة قديمة في اليمن، ورثتها الدولة السبئية في القرن السابع قبل الميلاد، وكانت عاصمتها «معين» أو «قرن» وسماها اليونان: «كارتا»، أو «قارتا»، تقع في منطقة: الجوف الجنوبي شرق صنعاء، ولا تزال آثارها ظاهرة تتكون من بقايا هياكل وبيوت مسورة، ونقوش وكتابات. المنجد، الأعلام (ص٦٧٥).

(٢) السبئيون: سبأ: بلاد في جنوب غرب الجزيرة العربية في اليمن، ذكرت في كتب العهد القديم وفي مؤلفات العرب واليونان والرومان. كانت على جانب عظيم من الحضارة، تعاطى سكانها تجارة الذهب والفضة والأحجار الكريمة. المنجد، الأعلام، (ص٣٦٩).

(٣) بطليموس: فلكي وجغرافي يوناني عاش ونشأ في الإسكندرية، أشهر مؤلفاته: «المجسطي» و«جغرافية بطليموس» وله نظرية في هيئة الأفلاك. وهي أن الأرض لا تتحرك، وأن الفلك يدور حولها. المنجد في الأعلام (ص١٣٥).

(٤) جواد علي: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (ط١)، (١٩٧٠/ ٤/ ١٣٠)، عبدالعزيز سالم: «تاريخ العرب في عصر الجاهلية»، مؤسسة شباب الجامعة (١٩٨٣/ ٣٨٣).

وذكرها اصطيفانوس[١] باسم (Lathrippapis)

وعرفت عند الإخباريين باسم «أثرب»، و«يثرب»[٢].

وزعم بعض الإخباريين: أنها سُمِّيت يثرب نسبة إلى: يثرب بن قانيه بن مهلائيل ابن سام بن نوح عليه السلام، قالوا: وهو أول من نزلها وسُمِّيت باسمه[٣].

وقال ياقوت الحموي: «إن اسم يثرب مأخوذ من: الثرب والتثريب، أي: المؤاخذة بالذنب»[٤].

وذكر البلاذري: أن يثرب سميت باسم العماليق الذين نزلوها بعد نوح عليه السلام[٥].

إذن فالاسم القديم لمدينة الرسول ﷺ هو: «يثرب»، غيره النبي ﷺ كما سيأتي. وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم، وهو يقص علينا ما قاله المنافقون في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا**﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣].

وقد ظلت هذه التسمية قائمة حتى جاء الإسلام، فغيَّر الرسول ﷺ هذا الاسم وأطلق اسم «المدينة»، فقد صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**»[٦]. رواه مسلم.

وهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ، قد قال ذلك قبل الهجرة، قال النووي

---

(١) جواد علي: «المفصل» (٤/ ١٣٠).

(٢) ياقوت الحموي: الإمام شهاب الدين، أبو الفضل: الحموي، توفي ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت (١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م)، (٥/ ٤٣٠)، النجار: محمد بن محمود، «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة»، القاهرة (١٩٢٦/ ٣٢٣).

(٣) المسعودي: أبو الحسن، علي بن الحسين، توفي سنة ٤٣٦هـ، «مروج الذهب»، تدقيق: أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت (ط٦)، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، (٢/ ١٤٨).

(٤) ياقوت الحموي، «معجم البلدان» (٥/ ٤٣٠).

(٥) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، توفي سنة ٢٧٩هـ، «أنساب الأشراف»، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف، مصر «بدون تاريخ» (ط٦)، . المسعودي، «مروج الذهب»، (١/ ١٥٣).

(٦) النووي: محيي الدين، تحقيق صحيح مسلم، شرح النووي (٩/ ١٥٤).

يعلق على قوله ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرى**»، معناه: «أمرت بالهجرة إليها واستيطانها، وذكروا في معنى أكلها القرى وجهين: أحدهما: أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت القرى. والثاني: معناه أن أكلها وميرتها يكونان من القرى المنفتحة، وإليها تساق غنائمها[١].

وجاء في حديث آخر، أن الرسول ﷺ سماها: «طيبة» فعن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «**إنها طيبة**» يعني: المدينة، «**وأنها تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة**» رواه مسلم[٢].

وفي حديث آخر، أن الله سبحانه وتعالى سماها: «**طابة**». فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى سمى المدينة طابة**» رواه مسلم[٣].

قال النووي: فيه استحباب تسميتها طابة. وليس فيه أنها لا تسمى بغيره. فقد سماها الله المدينة في مواضع من القرآن. وسماها النبي ﷺ طيبة في الحديث الذي قبل هذا.

وقد استدل النووي من هذه الأحاديث على كراهة تسمية مدينة الرسول ﷺ بيثرب، ونقل عن العلماء أن السبب في كراهة تسميتها «يثرب» لفظ التثريب، الذي هو التوبيخ والملامة، وسميت: طيبة، وطابة، لحسن لفظهما، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، ويكره الاسم القبيح.

وأما تسميتها في القرآن الكريم بيثرب؛ فإنما هو حكاية عن قول المنافقين، والذين في قلوبهم مرض[٤].

وذكر النووي: أن طابة وطيبة، مأخوذ من الطيب، وهو: الرائحة الحسنة، والطاب والطيب لغتان، وقيل: من الطيب- بفتح الطاء وتشديد الياء - وهو: الطاهر؛ لخلوِّهَا من الشِّرك وطهارتها. وقيل: من طيب العيش.

وذكر النووي أيضًا: أن من أسمائها «الدار»، وقد سميت بذلك؛ لأمنها والاستقرار بها[٥].

---

(١) مسلم، هامش النووي (٩/ ١٥٤).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ١٥٥).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ١٥٦).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ١٥٥).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ١٥٤).

وقد عدَّ ابن شبه للمدينة عشرة أسماء[١] . وعد ابن زبالة لها أحد عشر اسمًا[٢] .

وجاء في بعض المصادر أن ليثرب تسعة وعشرين اسمًا[٣] .

وجعل السمهوري أسماءها أربعة وتسعين اسمًا[٤] .

ومن أسمائها: «المختارة»، «المحرمة»، «القاصمة»، «طبابة»[٥] .

ومن أسمائها: «المحفوظة»، «مدخل صدق»، «المقدسة»[٦] .

ولا شك أن أشهر الأسماء هو اسم: «المدينة»، وقد ورد استعماله في القرآن الكريم أكثر من مرة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ [التوبة: ١٠١].

أما لماذا سميت بالمدينة، فهو اختصار من مدينة الرسول ﷺ؛ لنزول الرسول ﷺ فيها بعد الهجرة، ولعزوفه عن اسمها القديم «يثرب» سواء كان سبب عزوفه ﷺ عنه لأنه يتضمن معنى لا يحبه وهو التثريب، أو لأنه اسم رأس من العماليق الذين نزلوا بها، أو غير ذلك على حد قول الباحثين المحدثين.

وتجدر الإشارة إلى أن اسم «المدينة» يطلق على مدن عدة غير مدينة الرسول ﷺ منها: «مدينة بخارى»، وإليها يُنسب المديني شيخ البخاري، وقد فرقوا بين مدينة الرسول ﷺ، وبين غيرها بالنسبة. فيقال في النسبة إليها: «مدني»، ويقال في النسبة لغيرها: «مديني»[٧] .

---

(١) ابن شبه: أبو زيد عمر بن شبه (ت ٢٦٢هـ)، «تاريخ المدينة»، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (ط٢)، بدون تاريخ، (١/ ١٦٢).

(٢) النجار، «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة» (٣٢٣).

(٣) مولاي: محمد علي، «محمد رسول الله ﷺ»، ترجمة الأستاذ مصطفى فهمي، القاهرة، ١٩٤٥م (٨)، عبدالعزيز سالم، «تاريخ العرب في عصر الجاهلية» (٣٨٥).

(٤) السمهوري: نور الدين، علي بن جمال الدين أبو المحاسن (ت٩٢١هـ)، «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ»، مطبعة الآداب، مصر، بدون تاريخ، (١/ ٩١).

(٥) ياقوت الحموي، «معجم البلدان» (٨٣).

(٦) العباس: أحمد بن عبدالحميد، «عمدة الأخبار في مدينة المختار» (٤١).

(٧) البغدادي: صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق، (ت٧٣٩هـ)، «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م)، (٣/ ١٢٤٦).

■ المطلب الثاني ■
وصف موجز للمدينة المنورة

تقع المدينة المنورة بين مكة المكرمة والشام، على بعد ثلاثمائة ميل، شمال مكة المكرمة، وهي واحة خصبة التربة، غزيرة المياه، محصورة بين لابتين بركانيتين، يعرفان بالحرتين: حرة واقم في الشرق، وحرة الوبرة في الغرب، وتكتنف الوديان الحرتين من الشرق ومن الغرب، وتحيط بالمدينة من جهاتها الأربع(١).

ويقع جبل أحد في أقصى الشمال، ثم جبل سلع، وتقع قرية قباء في جنوب المدينة على بعد ميلين منها(٢).

وتقع حرة الوبرة - التي تحد المدينة من الغرب - قبالة قباء من الجنوب عند ذي الحليفة- ميقات الإحرام لأهل المدينة- وأول الطريق إلى مكة، وبأقصى حرة الوبرة من ناحية الشمال حيث تجتمع أسيال المدينة، تقع بئر رومة، وهي البئر التي اشتراها عثمان ابن عفان رضي الله عنه وسبلها للمسلمين، وذلك استجابة لرغبة النبي ﷺ، وكانت لرجل يهودي(٣).

ولم تكن المدينة قبل قدوم النبي ﷺ إليها، مدينة بالمعنى المعروف في الوقت الحاضر. إنما كانت أشبه بالقرى، فقد كانت تتكون من مجموعة من المنازل البسيطة، منتشرة بدون نظام أو ترابط محدد، تحيط بها الحقول والبساتين.

ونظرًا لتوفر المياه فيها، فقد انتشرت فيها المسطحات الخضراء، وأصبحت محطة لإعداد القوافل؛ ذلك لأنها تقع على طريق التجارة الذي يربط اليمن بالشام عبر مكة، مما ساعد على زيادة عدد النازحين إليها(٤).

---

(١) ياقوت الحموي: «معجم البلدان» (٤/ ١٧٢).

(٢) الأصطخري: أبو القاسم إبراهيم بن محمد، المعروف بالكرخي، «المسالك والممالك»، ط القاهرة، بدون تاريخ، (٢٣).

(٣) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الشيباني (ت٦٣٠هـ)، «الكامل في التاريخ»، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، (٣/ ٣٨٠).

(٤) الشريف أحمد إبراهيم: «مكة والمدينة في الجاهلية والإسلام»، دار الفكر العربي، ط٢، بدون تاريخ، ص (٣١٧) وما بعدها.

ولم يكن للمدينة سور للحماية، وإنما كانت البساتين، وخاصة أشجار النخيل، بمثابة سور لها، واعتمد أهلها بناء الآطام - الحصون - يلجؤون إليها وقت الخطر[١].

أما منازلها: فقد كان يغلب عليها طابع البساطة، فهي في الغالب مبنية من الطين، ومسقفة بجريد النخيل، منها ما كان ذا طابق، ومنها ما كان ذا طابقين.

ولعل في وصف دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه التي نزل فيها رسول الله ﷺ بعد مسيره من قباء إلى منازل بني النجار ما يلقي الضوء على ذلك. فقد روي أن رسول الله ﷺ نزل في أسفل الدار، وأن أبا أيوب وأهله نزلوا في الطابق العلوي، فانكسر لهم زير ماء فنشفوه بغطائهم، خوفًا من نزول الماء على رسول الله ﷺ[٢].

ويبدو أن هذا القسم من البناء كان قليلاً، وذلك: لإطلاق اسم العراء على المدينة للتدليل على عدم ارتفاع مبانيها[٣].

وإلى جانب هذه البيوت توجد السقائف: وهي تمثل دواوين القبائل، كسقيفة بني ساعدة، وسقيفة الريان في منازل بياضة، فكان لكل قبيلة من القبائل سقيفة تجتمع فيها وتتخذ للتشاور[٤].

ونظرًا لاعتماد أهل المدينة على الزراعة، وكثرة البساتين التي تحيط بها، وخاصة أشجار النخيل، كان أهلها يتخذون لهم عرائش[٥] في فصل الصيف[٦] واهتم المسلمون بعد ذلك بمثل هذه العرائش في بساتينهم[٧].

---

(١) صالح لمعي: «المدينة المنورة» (ص١٠).

(٢) ابن هشام محمد بن عبدالملك، «السيرة النبوية» تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري وعبد الحافظ شلبي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م، (٢/ ١٠٤)، الحلبي: علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ)، «أنساب العيون في سيرة الأمين المأمون»، المعرفة بالسيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية، بيروت، (٢/ ٢٧٦)، السمهودي: «وفاء الوفا» (١/ ١٦٣)، النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، (ت٧٣٣هـ)، «نهاية الأرب في فنون الأدب»، القاهرة، ١٩٦٣م، (١٦/ ٣٤٣). (٣) السهمودي: «وفاء الوفا» (١/ ١٨).

(٤) الطبري: محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، «تاريخ الأمم والملوك»، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م (٣/ ٢٠١-٢١٨). السهمودي: «وفاء الوفا» (١/ ٢٠٦)، صالح أحمد العلي: «خطط المدينة المنورة» (١٠٩)، حسين هيكل «في منزل الوحي» (٥٣٦).

(٥) العريش: عبارة عن سباط يصنع من جريد النخيل ويرش بالماء، ليكون محلاً باردًا يستظل به الناس أيام الحر بصورة خاصة. انظر: السمهودي: (١/ ٢٦١). (٦) السهمودي: «وفاء الوفا» (١/ ٢٦١).

(٧) ابن سيد الناس، «الإمام محمد بن عيسى» (ت ٧٣٢هـ) «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»، مؤسسة عز الدين، بيروت، طبعة جديدة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (٢/ ٢٧٨).

أما عن مناخ المدينة: فهو يشبه مناخ مكة: صيفها حار وشتاؤها بارد، وتسقط فيها الأمطار، وتحدث فيها السيول في كثير من الأحيان[١].

ولم يعانِ أهل المدينة - كما عانى أهل مكة- من قحط الماء ومن شدة الحصول عليه حتى بعد حفر بئر زمزم، فالماء متوفر في المدينة، وغير بعيد عن سطح الأرض، ومن الممكن الحصول عليه بحفر آبار في البيوت[٢].

ويبدو أن ظاهرة انتشار الأمراض والأوبئة في المدينة، كانت من الظواهر المألوفة[٣].

ولذا نرى أن الصحابة رضي الله عنهم حينما نزلوا المدينة أصابتهم الحمى، ووعكوا من جراء ذلك، حتى ورد عن الرسول الكريم ﷺ أنه دعا الله أن يرفع عنهم الحمى بقوله: **«اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا»**[٤].

❀❀❀

(١) عبدالعزيز السالم: «تاريخ العرب» (٣٨٨).
(٢) جواد علي: «المفصل» (٤/ ١٣٢).
(٣) عبدالعزيز سالم: «تاريخ العرب» (٣٨٩).
(٤) البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، «صحيح البخاري»، المكتبة الإسلامية في إسطنبول (١/ ٥٨٨-٥٨٩)، ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، «السيرة النبوية» تحقيق د. أحمد أبو ملحم، بالاشتراك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، (٢/ ٣١٦).
* والجحفة: قرية جامعة في اثنين وثمانين ميلاً من مكة وكان فيها حينئذ يهود، انظر: ابن كثير: «السيرة النبوية» (٢/ ٣١٦).

■المبحث الثاني■
البيئة السكانية

تمهيد:

إن الوثيقة قد كتبت أساسًا لتنظيم العلاقة بين سكان الدولة الإسلامية، التي كانت المدينة المنورة أنذاك هي التي تمثلهم وحدها ؛ لذلك نرى من الأهمية بمكان التعرف على سكانها. وسأذكر ذلك بإيجاز فيما يأتي:

عند قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة، كان أهم سكانها فريقين: العرب، واليهود .

وقبل أن أفصل بعض الشيء في ذكر أهم القبائل لكل فريق منها . لابد من التمهيد لذلك بقضية مهمة وهي: بيان الأسبق في سكنى المدينة من الفريقين، فأقول:

قد اتفقت المصادر الإسلامية العربية التي اطلعت عليها على أن اليهود كان وجودهم في المدينة قبل الأوس والخزرج، لكن هذا لا يعني أن وجودهم فيها كان أسبق من وجود العرب كما توهم ذلك بعض المؤرخين إذ قال: إن اليهود سبقوا العرب في سكنى المدينة[1] .

فهذا الكلام ليس دقيقًا؛ لأن اليهود لما نزلوا المدينة كان فيها العماليق وهم عرب باتفاق المؤرخين وكان قد جرى بين العماليق سكان المدينة الأصليين وبين اليهود قتال رجحت فيه كفة اليهود، وبعد عودة اليهود من المدينة إلى موسى عليه السلام ؛ ليخبروه بنصرهم وجدوا أنه عليه السلام قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، وقد خالفوا في قتالهم بعض تعاليمه فاستنكر اليهود عملهم، ومنعوهم من السكنى معهم، ففكروا في سكنى المدينة مع بعض القبائل من العماليق .

وقد ذكر ذلك ابن خلدون إذ يقول: «ساكنو المدينة العماليق، وكانوا أهل عدوانٍ وبغيٍ، وتفرقوا في البلاد، وكان بالمدينة منهم: بنو نعيف، وبنو سعد، وبنو الأزرق، وبنو نضرون، وملك الحجاز منهم: الأرقم، ما بين تيماء إلى فدك، وكانوا ملوك

(١) اليعقوبي: «التاريخ» (١ / ٢٥٧).

المدينة، ولهم بها نخل وزرع، وكان موسى عليه السلام ،قد بعث الجنود إلى الجبابرة يغزونهم، وبعث إلى العمالقة جيشًا من بني إسرائيل وأمرهم ألا يستبقوا أحدًا، فأبقوا ابنًا لأرقم ضنوا به على القتل، فلما رجعوا بعد وفاة موسى عليه السلام أخبروا بني إسرائيل بشأنه: فقالوا: هذه معصية، لا تدخلوا علينا الشام، فرجعوا إلى بلاد العمالقة ونزلوا المدينة، وكان هذا أول سكن اليهود يثرب، لكن وجودهم كان قبل الأوس والخزرج الذين نزحوا من اليمن بعد انهيار سد مأرب فسكنوا المدينة»[1] .

إذن فالعرب هم الذين سكنوا المدينة المنورة وعمروها، أما اليهود فقد جاؤوا إليها في أول الأمر غزاة، ثم عادوا إليها بعد ذلك لاجئين على أهلها .

إذا تبين ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة كان أهم سكانها كتلتين من السكان هم العرب واليهود . وسأتحدث عن أهم قبائل الكتلتين في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

القبائل العربية

كان عرب المدينة في غالبهم ينتمون إلى قبيلتين: **إحداهما** من ولد الأوس والثانية من ولد الخزرج، وهما أخوان[2]، وكان بين أولادهما من العداوة ما يجعل الحرب بينهما لا تضع أوزارها، فكانوا دائمًا في قتال ونزاع، وكان آخر أيامهم الدامية، يوم بعاث فقد فقدوا فيه كثيرًا من أموالهم ورجالهم .

وقد سكن الأوس منطقة العوالي، وكانت منازلهم أخصب من منازل الخزرج، فكان ذلك سببًا في تأجيج الصراع بينهم .

أما عن أهم بطون القبيلتين ومساكنها فسأتكلم عليهم في فرعين:

---

(١) ابن خلدون: عبدالرحمن (ت ٨٨٠ هـ) ، «تاريخ ابن خلدون» (٣/٥٩٥).

(٢) ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ) ، «جمهرة أنساب العرب» ، القاهرة ١٣٨٣هـ، (ص ٣١٢).